بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الجن

مكِّيَّةٌ في قول الجميع[1]. وهي ثمانٍ وعشرون آية

قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾

فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أي: قل يا محمد لأمتك: أَوْحَى اللهُ إليَّ على لسان جبريل ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ إليّ ﴿نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وما كان عليه الصلاة والسلام عالماً به قبل أنْ أُوحي إليه. هكذا قال ابن عباس وغيره على ما يأتي.

وقرأ ابن أبي عَبْلة: «وُحِيَ» على الأصل، يقال: أَوحى إليه ووَحى، [وقُرئ: أُحِيَ] فقُلبت الواوُ همزة، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات:١١]. وهو من القلب المطلق جوازُه في كل واوٍ مضمومة. وقد أطلقه المازنيُّ في المكسورة أيضاً، كإشاح وإسادة و«إعَاءِ أَخِيهِ» [يوسف:٧٦] ونحوه[2].

الثانية: واختُلِف هل رآهم النبيُّ ﷺ أم لا؟ فظاهر القرآن يدلُّ على أنه لم يرهم، لقوله تعالى: «اسْتَمَعَ»، وقولِهِ تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٨، وزاد المسير٨/ ٣٧٦.

(٢) الكشاف ٤/ ١٦٦بتقديم وتأخير، وما بين حاصرتين لضرورة السياق، ومستفاد منه، وذكرَ قراءة: وُحي، عن ابن أبي عبلة ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٢. وقرأ ابن أبي عبلة أيضاً: أُحيَ: كما في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٨، والبحر المحيط ٨/ ٣٤٦، والقراءتان شاذتان. وقراءة: «إعاء أخيه» شاذة أيضاً، وهي في المحتسب ١/ ٣٤٨، والقراءات الشاذة ص٦٥.

[الأحقاف: ٢٩]. وفي صحيح مسلم والتِّرمذيِّ عن ابن عباس قال: ما قرأ رسولُ الله ﷺ على الجنِّ وما رآهم، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سُوق عُكَاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسلت عليهم الشُّهُب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: مالكم؟ قالوا: حِيل بيننا وبين خبر السماء، وأُرسلت علينا الشُّهُب! قالوا: ما ذاك إلَّا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ماهذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء؟ فانطلقوا يضربون مشارقَ الأرض ومغاربَها، فمرَّ النَّفرُ الذين أخذوا نحو تِهامة وهو بنخلة عامدين إلى سوق عُكَاظ، وهو يصلِّي بأصحابه صلاةَ الفجر، فلما سمعوا القرآن، استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء. فرجعوا إلى قومهم فقالوا: ياقومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا . يَهْدِى إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ فأنزل الله عزَّ وجلَّ على نبيِّه محمدٍ ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾[1]. رواه الترمذي[2] عن ابن عباس قال: قولُ الجنِّ لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الآية: ١٩] قال: لمَّا رأوه يصلِّي، وأصحابُه يصلُّون بصلاته، فيسجدون بسجوده، قال: تعجَّبوا من طواعية أصحابه له، قالوا لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾قال: هذا حديث حسن صحيح.

ففي هذا الحديثِ دليلٌ على أنه عليه الصلاة والسلام لم يرَ الجنَّ، ولكنهم حضروه، وسمعوا قراءته. وفيه دليلٌ على أنَّ الجنَّ كانوا مع الشياطين حين تجسَّسوا الخبر بسبب الشياطين لمَّا رُمُوا بالشُّهُب. وكان المرميُّون بالشُّهُب من الجنِّ أيضاً. وقيل لهم: شياطين كما قال: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] فإنَّ الشيطان كلُّ متمرِّدٍ وخارجٍ عن طاعة الله.

---

(١) صحيح مسلم (٤٤٩)، وسنن الترمذي (٣٣٢٣)، وأخرجه أحمد (٢٢٧١). وهو عند البخاري (٧٧٣) و(٤٩٢١) دون قوله: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم.

(٢) هو بعض حديثه السالف.

وفي الترمذي[١] عن ابن عباس قال: كان الجنُّ يصعدون إلى السماء يستمعون إلى الوَحْي، فإذا سمعوا الكلمةَ زادوا فيها تسعاً، فأمَّا الكلمةُ فتكون حقًّا، وأما ما زادوا فيكون باطلاً. فلما بُعث رسولُ الله ﷺ، مُنِعوا مقاعدَهم، فذكروا ذلك لإبليس، ولم تكن النجوم يُرمى بها قبل ذلك، فقال لهم إبليس: ما هذا الأمرُ إلَّا مِن أمرٍ قد حدث في الأرض! فبعث جنوده، فوجدوا رسولَ الله ﷺ قائماً يصلِّي بين جبلين ـ أُراه قال: بمكة ـ فأتَوه فأخبروه، فقال: هذا الحَدث الذي حدث في الأرض. قال: هذا حديث حسن صحيح.

فدلَّ هذا الحديثُ على أنَّ الجنَّ رُموا كما رُميت الشياطين.

وفي رواية السُّدِّيّ: أنهم لمَّا رُموا أتَوا إبليس فأخبروه بما كان من أمرهم، فقال: إيتوني من كل أرض بقبضة من تراب أَشَمُّها، فأتَوه، فشمَّ فقال: صاحبكم بمكة؛ فبعث نفراً من الجنِّ[٢]. قيل: كانوا سبعة. وقيل: تسعة، منهم زَوْبعة.

وروى عاصمٌ عن زِرٍّ قال: قَدِمَ رهط زوبعة وأصحابُه على النبيِّ ﷺ. وقال الثُّمالي: بلغني أنهم من بني الشَّيْصَبَان، وهم أكثر الجنِّ عدداً، وأقواهم شوكة، وهم عامَّةُ جنودِ إبليس. وروى أيضاً عاصمٌ عن زِرٍّ: أنهم كانوا سبعةَ نفر؛ ثلاثة من أهل حَرَّان، وأربعة من أهل نَصِيبين. وحكى جُويبر عن الضحَّاك: أنهم كانوا تسعة من أهل نَصِيبين، قرية باليمن غير التي بالعراق. وقيل: إنَّ الجنَّ الذين أتَوا مكة جنُّ نصيبين، والذين أتوه بنخلة جنُّ نِينَوَى. وقد مضى بيانُ هذا في سورة الأحقاف[٣].

قال عِكرمة: والسورة التي كان يقرؤها رسولُ الله ﷺ ﴿اَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١][٤]. وقد مضى في سورة الأحقاف التعريفُ باسم النفرِ من الجنّ، فلا معنى لإعادة ذلك.

---

(١) برقم (٣٣٢٤)، وهو في مسند أحمد (٢٤٨٢) بنحوه.

(٢) النكت والعيون ٦/١٠٨ .

(٣) ١٩/ ٢٢٤ . وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣١١ ، والنكت والعيون ٦/١٠٨-١٠٩ .

(٤) النكت والعيون ٦/١٠٨ .

وقيل: إنَّ النبيَّ ﷺ رأى الجنَّ ليلةَ الجنّ، وهو أثبت؛ روى عامر الشَّعبيُّ قال: سألت علقمة: هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلةَ الجنّ؟ فقال علقمة: أنا سألت ابنَ مسعود فقلت: هل شهد أحدٌ منكم مع رسول الله ﷺ ليلةَ الجنّ؟ قال: لا، ولكنَّا كنَّا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشِّعاب، فقلنا: استُطير أو اغتيل، قال: فبتنا بِشرِّ ليلةٍ بات بها قوم، فلما أصبحنا[1] إذا هو جاءٍ من قِبَل حِرَاء، فقلنا: يا رسول الله! فقدناك فطلبناك، فلم نجدك، فبتنا بشرِّ ليلة بات بها قوم، فقال: «أتاني داعي الجنّ، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن». فانطلَقَ بنا فأرانا آثارَهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد ـ وكانوا من جنِّ الجزيرة ـ فقال: «لكم كلُّ عَظْمٍ ذُكر اسمُ الله عليه، يقع في أيديكم أوْفَرَ ما يكون لحماً، وكلُّ بَعْرة عَلفٌ لدوابِّكم» فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجُوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم»[2].

قال ابن العربي[3]: وابن مسعود أعرف من ابن عباس؛ لأنه شاهده، وابن عباس سمعه؛ وليس الخبر كالمعاينة.

وقد قيل: إنَّ الجنَّ أتَوا رسول الله ﷺ دفعتين: إحداهما بمكة، وهي التي ذكرها ابن مسعود، والثانية بنخلة، وهي التي ذكرها ابن عباس. قال البيهقي: الذي حكاه عبد الله بن عباس إنما هو في أوَّل ما سمعت الجنُّ قراءةَ النبيِّ ﷺ وعَلِمت بحاله، وفي ذلك الوقتِ لم يقرأ عليهم ولم يرهم، كما حكاه، ثم أتاه داعي الجنِّ مرَّةً أخرى، فذهب معه وقرأ عليهم القرآن، كما حكاه عبد الله بن مسعود. قال البيهقي: والآحاديث الصِّحاح تدلُّ على أنَّ ابن مسعود لم يكن مع النبي ﷺ ليلةَ الجنّ، وإنما كان معه حين انطلق به وبغيره يريه آثارَ الجنِّ وآثارَ نيرانهم. قال: وقد رُوي من غير

---

(١) في النسخ: أصبح، والمثبت من صحيح مسلم.

(٢) أخرجه أحمد (٤١٤٩)، ومسلم (٤٥٠) واللفظ له. وسلف قطعة منه ١/ ٤٦٩ . قوله: استطير، أي: ذُهب به بسرعة كأن الطير حملته، أو اغتاله أحد. النهاية (طير).

(٣) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٥٢ .

وجه أنه كان معه ليلتئذ[١]. وقد مضى هذا المعنى في سورة الأحقاف، والحمد لله[٢].

روي عن ابن مسعود أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أُمرت أنْ أتلوَ القرآن على الجنِّ، فمن يذهب معي؟» فسكتوا، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة، فقال عبد الله بن مسعود: أنا أذهب معك يا رسول الله، فانطلق حتى جاء الحَجُون عند شِعْب أبي دُبّ، فخطَّ عليَّ خطّاً، فقال: «لا تجاوزه» ثم مضى إلى الحَجُون فانحدر عليه أمثالُ الحَجَل يَحدُرون الحجارة بأقدامهم، يمشون يقرعون في دُفوفهم كما تَقْرع النُّسور[٣] في دُفوفها، حتى غَشَوه فلا أراه، فقمت، فأوْمَى إليَّ بيده أن اجلس، فتلا القرآن، فلم يزل صوته يرتفع، ولَصِقوا بالأرض حتى ما أراهم، فلما انفتل إليّ قال: «أردتَ أن تأتيَني؟» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «ما كان ذلك لك، هؤلاء الجنُّ أتَوا يستمعون القرآن، ثم ولَّوا إلى قومهم منذرين، فسألوني الزاد فزوَّدتهم العظم والبعر؛ فلا يَستطيبَنَّ أحدُكم بعظم ولا بعر».

قال عكرمة: وكانوا اثني عشرَ ألفاً من جزيرة الموصل.

وفي رواية[٤]: انطلق بي عليه الصلاة والسلام، حتى إذا جئنا المسجد الذي عند حائط عوف؛ خَطَّ لي خطًّا، فأتاه نفر منهم، فقال أصحابنا: كأنهم رجال الزُّطّ، وكأنَّ وجوههم المَكَاكيّ[٥]، فقالوا: ما أنت؟ قال: «أنا نبيُّ الله» قالوا: فمن يشهد لك على ذلك؟ قال: «هذه الشجرة، تعالي[٦] يا شجرة» فجاءت تجرُّ عروقها، لها قعاقع، حتى انتصبت بين يديه، فقال: «على ماذا تشهدين» قالت: أشهد أنك رسول الله.

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٢٢٧، ٢٣٠.

(٢) ١٩/ ٢٢٢ - ٢٢٤.

(٣) في النسخ: النسوة، والمثبت من المصادر. وسلف الخبر ١٩/ ٢٢٢ بنحوه.

(٤) أخرج هذه الرواية والتي قبلها الفاكهي في أخبار مكة (٢٣١٩). وقول عكرمة أخرجه ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٢٩٦ (١٨٥٧٨).

(٥) جمع مكُّوك: وهو مكيال.

(٦) في (م): فقال.

فرجعت كما جاءت تجرُّ بعروقها الحجارة لها قعاقع، حتى عادت كما كانت.

ثم روي أنه عليه الصلاة والسلام لمَّا فرغ، وضع رأسه على حِجْر ابن مسعود، فرقد، ثم استيقظ فقال: «هل مِن وضوء؟» قال: لا، إلَّا أنَّ معي إداوةٌ فيها نبيذ. فقال: «هل هو إلَّا تمر وماء» فتوضأ منه[١].

الثالثة: قد مضى الكلام في الماء في سورة الحِجْر[٢]، وما يستنجى به في سورة براءة[٣]، فلا معنى للإعادة.

الرابعة: واختلف أهل العلم في أصل الجنّ؛ فروى إسماعيل عن الحسن البصريّ: أنَّ الجنَّ ولدُ إبليس، والإنسَ ولد آدم، ومِن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون، وهم شركاء في الثواب والعقاب. فمَن كان مِن هؤلاء وهؤلاء مؤمناً، فهو وليُّ الله، ومَن كان من هؤلاء وهؤلاء كافراً، فهو شيطان. وروى الضحَّاك عن ابن عباس: أنَّ الجنَّ هم ولد الجانّ، وليسوا بشياطين، وهم يموتون[٤]؛ ومنهم المؤمن ومنهم الكافر، والشياطين هم ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس.

واختلفوا في دخول مؤمني الجنِّ الجنة، على حسب الاختلاف في أصلهم. فمَن زعم أنهم من الجانِّ لا من ذرِّيَّة إبليس قال: يدخلون الجنة بإيمانهم. ومَن قال: إنهم من ذرِّيَّة إبليس، فلهم فيه قولان: أحدهما، وهو قول الحسن: يدخلونها. الثاني، وهو رواية مجاهد: لا يدخلونها وإن صُرِفوا عن النار. حكاه الماوردي[٥]. وقد مضى في سورة الرحمن عند قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الآية: ٥٦]. بيان أنهم يدخلونها[٦].

---

(١) سلف ١٦/ ٢١٢-٢١٣، وسلفت هذه القطعة ـ أيضاً ـ ١٥/ ٤٤١.

(٢) ١٢/ ١٩٩.

(٣) ١٠/ ٣٧٨-٣٧٩.

(٤) في النسخ عدا (ظ): يؤمنون، والمثبت موافق لما في النكت والعيون ٦/ ١٠٩.

(٥) في النكت والعيون ٦/ ١٠٩.

(٦) ٢٠/ ١٥٥.

الخامسة: قال البيهقيُّ[١] في روايته: وسألوه الزاد، وكانوا من جنِّ الجزيرة، فقال: «لكم كلُّ عظم» دليلٌ على أنهم يأكلون ويَطعَمون. وقد أنكر جماعةٌ من كَفَرة الأطباءِ والفلاسفةِ الجنَّ، وقالوا: إنهم بسائط، ولا يصحُّ طعامهم؛ اجتراءً على الله وافتراءً عليه، والقرآن والسنة تردُّ عليهم، وليس في المخلوقات بسيط، [بل الكلُّ] مركَّبٌ مزدوج، إنما الواحد الواحد سبحانه، وغيره مركَّبٌ ليس بواحد كيفما تصرَّف حاله. وليس يمتنع أن يراهم النبيُّ ﷺ في صورهم كما يرى الملائكة. وأكثر ما يَتَصوَّرون لنا في صور الحيات؛ ففي الموطأ[٢]: أن رجلاً حديثَ عهدٍ بعُرس استأذن رسولَ الله ﷺ بأنصاف النهار أن يرجع إلى أهله... الحديث، وفيه: فإذا حيَّةٌ عظيمة منطوية على الفراش، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها. وذكر الحديث. وفي الصحيح[٣] أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إنَّ لهذه البيوت عوامر، فإذا رأيتم منها شيئاً، فحرِّجوا عليها ثلاثاً، فإنْ ذهب وإلَّا فاقتلوه؛ فإنه كافر». وقال: «اذهبوا فادفنوا صاحبكم»[٤] وقد مضى هذا المعنى في سورة البقرة وبيانُ التحريج عليهن[٥].

وقد ذهب قومٌ إلى أنَّ ذلك مخصوصٌ بالمدينة؛ لقوله في الصحيح[٦]: «إنَّ بالمدينة جنّاً قد أسلموا». وهذا لفظ مختصٌّ بها، فيختصُّ بحكمها. قلنا: هذا يدلُّ على أنَّ غيرها من البيوت مثلُها؛ لأنه لم يُعلِّل بحرمة المدينة، فيكون ذلك الحكمُ مخصوصاً بها، وإنما عُلِّل بالإسلام، وذلك عامٌّ في غيرها، ألا ترى قولَه في الحديث مخبِراً عن الجنِّ الذين لقي: «وكانوا من جنِّ الجزيرة»؛ وهذا بيِّنٌ، يَعضُده قولُه:

---

(١) في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٥٢: قال الشعبي. وهو عند البيهقي في الدلائل ٢/ ٢٢٩ من طريق الشعبي، وسلف في المسألة الثانية.

(٢) ٢/ ٩٧٦، وسلف الحديث ١/ ٤٦٩-٤٧٠.

(٣) صحيح مسلم (٢٢٣٦): (١٤٠)، وسلف ١/ ٤٧٠.

(٤) أي الرجل الحديث العهد بعرس الذي قتلته الحية، وهو من حديث الموطأ المذكور.

(٥) ١/ ٤٦٨ فما بعد.

(٦) هو بعض الحديث السالف.

«وَنَهَى عن عوامر البيوت»[١]، وهذا عامٌّ[٢]. وقد مضى في سورة البقرة القولُ في هذا، فلا معنى للإعادة.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ أي: في فصاحة كلامه. وقيل: عَجَباً في بلاغة مواعظه. وقيل: عجباً في عِظَم بركته[٣]. وقيل: قرآناً عزيزاً لا يوجد مثله[٤]. وقيل: يعنون عظيماً. ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ أي: إلى مراشد الأمور. وقيل: إلى معرفة الله تعالى[٥]؛ و«يَهْدي» في موضع الصفة، أي: هادياً. ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: فاهتدينا به وصدَّقنا أنه من عند الله ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ أي: لا نرجع إلى إبليس ولا نطيعه؛ لأنه الذي كان بعثهم ليأتوه بالخبر لما[٦] رُميَ الجنُّ بالشُّهب. وقيل: لا نتَّخذ مع الله إلهاً آخر، لأنه المتفرِّد بالرُّبُوبية. وفي هذا تعجيبُ المؤمنين بذهاب مشركي قريش عمَّا أدركته الجنُّ بتدبُّرها القرآن.

وقوله تعالى: ﴿ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ أي: استمعوا إلى النبيِّ ﷺ، فعلموا أنَّ ما يقرؤه كلامُ الله. ولم يذكر المستمَع إليه لدلالة الحال عليه. والنَّفَر: الرهط، قال الخليل: ما بين ثلاثة إلى عشرة. وقرأ عيسى الثَّقفي: «يَهْدي إلى الرَّشَد» بفتح الراء والشين[٧].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ كان عَلْقمة ويحيى والأعمش وحمزة والكِسائيُّ وابن عامر وخَلَفٌ وحفص والسُّلَميُّ ينصبون «أنَّ» في جميع السورة في اثني عشر

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٢٦٢) من حديث أبي أمامة ﷺ. وفي الباب عن أبي لبابة أو زيد بن الخطاب رضي الله عنهما أخرجه أحمد (٤٥٥٧)، ومسلم (٢٢٣٣).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٥٢-٧٨٥٣ ، ١٨٥٤ ، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٠٩-١١٠ .

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٤١٠ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١١٠ .

(٦) في (د): لِمَ، وفي(م): ثم.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩ .

موضعاً[١]، وهو: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ﴾، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ﴾، ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟﴾، ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾، ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ﴾، ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ﴾، ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾، ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ عطفاً على قوله: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾، ﴿وأَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ لا يجوز فيه إلَّا الفتح، لأنها في موضع اسم فاعل«أُوحِيَ»، فما بعده معطوفٌ عليه. وقيل: هو محمول على الهاء في «آمَنَّا بِهِ»، أي: وبـ«أَنَّه تعالى جَدُّ ربِّنا»، وجاز ذلك وهو مضمَر مجرور، لكثرة حذف الجارّ[٢] مع «أنَّ». وقيل: المعنى: أي: وصدَّقنا أنه جَدُّ ربِّنا.

وقرأ الباقون كلَّها بالكسر، وهو الصواب، واختاره أبو عبيد[٣] وأبو حاتم عطفاً على قوله: «فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا»لأنه كله من كلام الجنِّ.

وأما أبو جعفر وشيبة فإنهما فتحا ثلاثةَ مواضع، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ﴾[٤]، قالا: لأنه من الوحي، وكسرا مابقي، لأنه من كلام الجنِّ.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ فكلُّهم فتحوا إلَّا نافعاً وشيبةَ وزِرَّ بن حُبيش وأبا بكر والمفضَّل عن عاصم، فإنهم كسروا لا غير[٥].

ولا خلاف في فتح همزة﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾، ﴿وَأَن لَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾، ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾، ﴿وأَنْ قَدْ أَبْلَغُوا﴾.

وكذلك لاخلاف في كسر مابعد القول، نحوُ قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا﴾

---

(١) السبعة ص٦٥٦، والتيسير ص٢١٥ ، والنشر ٢/ ٣٩١ . وعن علقمة أخرجها الفراء ٣/ ١٩١ ، ونسبها له وليحيى والأعمش النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٤٦ .

(٢) في النسخ: حرف الجارّ، وينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٣ .

(٣) في(د) و(م): أبو عبيدة.

(٤) النشر ٢/ ٣٩١ عن أبي جعفر، وهو من العشرة .

(٥) قراءة نافع وأبي بكر عن عاصم في السبعة ص٦٥٦ ، والتيسير ص٢١٥ .

و﴿قَالَ[١] إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ و﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي﴾ و﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ﴾.

وكذلك لاخلاف في كسر ماكان بعد فاء الجزاء، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ و﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ لأنه موضع ابتداء.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ الجَدُّ في اللغة: العظَمة والجلال، ومنه قول أنس: كان الرجل إذا حَفِظَ «البقرة» و«آل عمران» جَدَّ في عيوننا[٢]، أي: عَظُم وجَلَّ. فمعنى: « جدُّ رَبِّنَا» أي: عظمته وجلاله، قاله عكرمة ومجاهدٌ وقتادة. وعن مجاهد أيضاً: ذِكْرُه. وقال أنس بن مالك والحسن وعكرمة أيضاً: غناه. ومنه قيل للحظِّ: جَدٌّ، ورجل مجدود، أي: محظوظ، وفي الحديث: «ولا ينفع ذا الجَدِّ، منك الجَدّ»[٣] قال أبو عبيد[٤] والخليل: أي: ذا الغنى منك الغنى، إنما تنفعه الطاعة. وقال ابن عباس: قدرته. وقال الضحاك: فِعْله. وقال القُرَظيُّ والضحَّاك أيضاً: آلاؤه ونعمه على خلقه. وقال أبو عبيدة[٥] والأخفش: ملكه وسلطانه. وقال السديّ: أمره. وقال سعيد ابن جُبير: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي: تعالى ربُّنا. وقيل: إنهم عَنَوا بذلك الجَدَّ الذي هو أب الأب، ويكون هذا من قول الجن[٦].

وقال محمد بن عليِّ بن الحسين وابنهُ جعفر الصادق والربيع: ليس لله تعالى جَدّ، وإنما قالته الجنُّ للجهالة، فلم يؤاخذوا به[٧].

وقال القشيريّ: ويجوز إطلاق لفظ الجدِّ في حقِّ الله تعالى، إذ لو لم يجز لَمَا

---

(١) قرأ عاصم وحمزة «قل» بغير ألف. السبعة ص٦٥٧ ، والتيسير ص ٢١٥ .

(٢) أخرجه أحمد (١٢٢١٥) مطولاً.

(٣) سلف ١٩/ ٤٦٣ .

(٤) في (د) و(م): أبو عبيدة.

(٥) مجاز القرآن٢/ ٢٧٢ .

(٦) ينظر لهذه الأقوال تفسير الطبري ٢٣/ ٣١٢-٣١٥ ، والنكت والعيون ٦/ ١١٠، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠١ .

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩ بنحوه، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٣١٥ عن محمد أبي جعفر الباقر. قال ابن عطية: قال كثير من المفسرين: هذا قول ضعيف.

ذُكِر في القرآن، غير أنه لفظ مُوهم ، فتجنُّبه أولى.

وقرأ عِكرمة: «جِدّ» بكسر الجيم؛ على ضد الهَزْل. وكذلك قرأ أبو حَيْوة ومحمد ابنُ السَّمَيفع.

ويروى عن ابن السَّمَيفع أيضاً وأبي الأشهب: «جَدَا رَبِّنا» وهو الجَدْوى، والمنفعة.

وقرأ عكرمة أيضاً: «جَدًّا» بالتنوين؛ «رَبُّنَا» بالرفع على أنه مرفوع بـ «تعالى»، و«جَدًّا» منصوب على التمييز.

وعن عكرمة أيضاً: «جَدٌّ» بالتنوين والرفع، «رَبُّنَا» بالرفع، على تقدير: تعالى جَدٌّ جَدُّ ربِّنا، فـ «جَدّ» الثاني بدلٌ من الأول، وحذف وأقيم المضافُ إليه مُقامه[١]

ومعنى الآية: وأنه تعالى جلالُ ربِّنا أن يتَّخذ صاحبةً وولداً للاستئناس بهما والحاجةِ إليهما، والربُّ يتعالى عن الأنداد والنظراء.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ الهاء في «أَنَّهُ» للأمر أو الحديث، وفي «كان» اسمها، وما بعدها الخبر. ويجوز أن تكون «كان» زائدة[٢].

والسفيه هنا إبليس في قول مجاهدٍ وابن جريح وقتادة. ورواه أبو بُرْدة بن أبي موسى، عن أبيه، عن النبيِّ ﷺ[٣]. وقيل: المشركون من الجنّ. قال قتادة: عصاه سفيه الجنِّ كما عصاه سفيه الإنس[٤].

---

(١) المحتسب ٢/ ٣٣٢ ، وفيه القراءتان عن عكرمة.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٤ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ١١٠ دون ذكر ابن جريح، وقول مجاهد وقتادة أخرجه الطبري٢٣/ ٣٢٠ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢١ .

والشطط والاشتطاط: الغلوُّ في الكفر. وقال أبو مالك: هو الَجْور. وقال الكلبيّ: هو الكذب. وأصله البعد، فيعبَّر به عن الَجْور لبعده عن العدل، وعن الكذب لبعده عن الصدق[١]، قال الشاعر:

بأيَّة حالٍ حكَّموا فيك فاشتطُّوا وماذاكَ إلا حيثُ يَمَّمك الوَخْطُ[٢]

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ أي: حَسِبنا ﴿أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، فلذلك صدَّقناهم في أنَّ لله صاحبةً وولداً، حتى سمعنا القرآنَ وتبيَّنَّا به الحقّ.

وقرأ يعقوب والجحدريُّ وابن أبي إسحاق: «أَنْ لَنْ تَقَوَّل»[٣].

وقيل: انقطع الإخبار عن الجنِّ هاهنا، فقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ فَمن فَتَحَ وجعله من قول الجنّ، ردَّها إلى قوله: «أَنَّهُ اسْتَمَعَ»، ومن كسر جعلها مبتدأً من قول الله تعالى. والمراد به ما كانوا يفعلونه من قول الرجل إذا نزل بوادٍ: أعوذ بسيِّد هذا الوادي مِن شرِّ سفهاء قومه، فَيبيت في جِواره حتى يُصبح، قاله الحسن وابن زيد وغيرهما[٤]. قال مقاتل: كان أوَّل مَن تعوَّذ بالجنِّ قومٌ من أهل اليمن، ثم من بني حنيفة، ثم فشا ذلك في العرب[٥]، فلمَّا جاء الإسلام، عاذوا بالله وتركوهم.

وقال كَرْدَم بن أبي السائب[٦]: خرجت مع أبي إلى المدينة أوَّلَ ما ذُكر النبيُّ ﷺ،

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١١٠ .

(٢) لم نقف عليه. والوخط: الشيب.

(٣) قراءة يعقوب في النشر٢/ ٣٩٢، وهي من العشرة، وقراءة الجحدري في القراءات الشاذة ص١٦٢ والمحتسب ٢/ ٣٣٣ .

(٤) أخرج قولهم الطبري ٢٣/ ٣٢٢-٣٢٤ .

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٠ .

(٦) الأنصاري. قال البخاري وابن السكن: له صحبة. وقال ابن حبان: يقال: له صحبة، ثم أعاده في التابعين، فقال: يروي المراسيل. وقال أبو عمر: يقال: له صحبة، سكن المدينة، ومخرج حديثه عن أهل الكوفة. الإصابة ٨/ ٢٧٦ .

فآوانا المبيتُ إلى راعي غنم، فلمَّا انتصف الليل، جاء الذئب فأخذ حَمَلاً من الغنم، فقال الراعي: ياعامرَ الوادي، جارُك. فنادى منادٍ لا نراه: ياسِرْحان أرسله، فأتى الحَمَلُ يَشْتدّ، وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[1] أي: زاد الجنُّ الإنسَ رَهَقاً، أي: خطيئة وإثماً، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة[2].

والرَّهَق: الإثم في كلام العرب وغِشْيانُ المحارم[3]، ورجلٌ رَهِقٌ: إذا كان كذلك، ومنه قولهُ تعالى: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس:٢٧]، وقال الأعشى[4]:

لاشيءَ ينفعُني مِن دونِ رؤيتِها ... هل يَشتفي عاشقٌ[5] مالم يُصِب رَهَقَا

يعني إثماً. وأضيف الزيادة إلى الجنِّ إذ كانوا سبباً لها. وقال مجاهدٌ أيضاً: «فَزَادُوهم» أي: إنَّ الإنس زادوا الجنَّ طغياناً بهذا التعوُّذ، حتى قالت الجنّ: سُدنا الإنسَ والجنَّ[6]. وقال قتادة أيضاً وأبو العالية والربيع وابن زيد: ازداد الإنس بهذا فَرَقاً وخوفاً من الجنِّ[7]. وقال سعيد بن جُبير: كفراً[8]. ولا خفاءَ أنَّ الاستعاذة

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٢٤٠ـ والطبراني في الكبير ١٩/ ١٩١-١٩٢ (٤٣٠)، والواحدي في الوسيط ٤/ ٣٦٤ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٠٢. قال الهيثمي في المجمع ٧/ ١٢٩ : فيه عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي، وهو ضعيف. قال ابن أبي حاتم: وروي عن عبيد بن عمير، ومجاهد، وأبي العالية، والحسن، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي نحوه. قال ابن كثير: وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحمل ـ وهو ولد الشاة ـ كان جنيًّا حتى يُرهب الإنسي ويخاف منه، ثم رده عليه لما استجاربه، ليضله ويهينه ويخرجه عن دينه، والله أعلم.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢٤-٣٢٥ عن ابن عباس وقتادة وإبراهيم.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٢.

(٤) ديوانه ص٤١٥ .

(٥) في (م): وامق، أي: محبّ.

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢٥ مختصراً. وينظر الوسيط للواحدي ٤/ ٣٦٤ .

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢٥-٣٢٦ عن الربيع وابن زيد، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١١١ عن أبي العالية.

(٨) النكت والعيون ٦/ ١١١ .

بالجنِّ دون الاستعاذةِ بالله كفرٌ وشرك.

وقيل: لا يطلق لفظُ الرجال على الجنِّ، فالمعنى: وأنه كان رجال من الإنس يعوذون من شر الجنِّ برجالٍ من الإنس، وكان الرجلُ من الإنس يقول مثلاً: أعوذ بحذيفة بنِ بدر من جنِّ هذا الوادي.

قال القشيريّ: وفي هذا تحكُّم، إذ لا يَبْعُدُ إطلاقُ لفظ الرجال على الجنّ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ هذا مِن قول اللهِ تعالى للإنس، أي: وأنَّ الجنَّ ظنُّوا أنْ لن يبعثَ اللهُ الخلقَ كما ظننتم. قال الكلبيّ: المعنى: ظنَّت الجنُّ كما ظنَّت الإنس أنْ لن يبعث الله رسولاً إلى خلقه يقيمُ به الحجَّةَ عليهم[١]. وكلُّ هذا توكيدٌ للحجَّة على قريش، أي: إذا آمن هؤلاء الجنُّ بمحمد، فأنتم أحقُّ بذلك.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ هذا من قول الجنّ، أي: طلبنا خبرَها كما جرت عادتنا، فوجدناها قد مُلِئت حَرَساً شديداً، أي: حَفَظة، يعني الملائكة. والحَرَس: جمع حارس «وشُهُباً» جمع شهاب، وهو انقضاض الكواكب المحرقة لهم عن استراق السمع[٢]. وقد مضى القولُ فيه في سورة الحِجْر والصافَّات[٣].

و«وجَدَ» يجوز أن يقدَّر متعدِّياً إلى مفعولين، فالأوَّل الهاء والألف، و«مُلِئت» في موضع المفعول الثاني، ويجوز أن يتعدَّى إلى مفعول واحد، ويكون «مُلئت» في

(١) أخرجه بنحوه الطبري ٢٣/٣٢٦-٣٢٧.

(٢) النكت والعيون ٦/١١٢.

(٣) ١٢/١٨٦ فما بعد، ١٨/١٠ فما بعد.

موضع الحال على إضمار «قد»[١]. و«حَرَساً» نصب على المفعول الثاني بـ«مُلِئت»[٢]. و«شديداً» من نعت الحَرس، أي: ملئت ملائكةً شِداداً.

ووحّد الشَّديد على لفظ الحرَس، وهو كما يقال: السَّلَف الصالح، بمعنى الصالحين، وجمع السَّلَف: أسلاف، وجمع الحرس: أحراس، قال:

تجاوزتُ أحراساً وأهوالَ مَعْشَرٍ[٣]

ويجوز أن يكون «حَرَساً» مصدراً على معنى: حُرِستْ حراسةً شديدةً.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ «مِنْهَا» أي: من السماء، و«مَقَاعِدَ»: مواضع يُقْعد في مثلها لاستماع الأخبار من السماء، يعني أنَّ مَرَدة الجنِّ كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة أخبارَ السماء حتى يُلقوها إلى الكهنة، على ما تقدَّم بيانه[٤]، فَحرسها اللهُ تعالى حين بعث رسولَه بالشُّهب المحرِقة، فقالت الجنُّ حينئذ: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ يعني بالشهاب الكوكبَ المُحرِق[٥]، وقد تقدَّم بيانُ ذلك[٦].

ويقال: لم يكن انقضاضُ الكواكب إلَّا بعد مبعث النبيِّ ﷺ، وهو آيةٌ من آياته[٧].

واختلف السَّلف: هل كانت الشياطين تُقذَف قبل المبعث، أو كان ذلك أمراً حدث لمبعث النبيِّ ﷺ؟ فقال الكلبيُّ وقال قوم: لم تكن تُحرس السماء في الفترة بين

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٤٨ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٤ قال النحاس: والأول أولى، وبنحوه قال مكي .

(٢) والأظهر أنه تمييز كما في البيان لابن الأنباري ٢/ ٤٦٦ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٤ .

(٣) صدر بيت لامرئ القيس، وعجزه: عليَّ حِرَاصٌ لو يُشِرُّون مقتلي، وهو في ديوانه ص١٣ ، وسلف ١٤/ ٣٠٣ .

(٤) في المسألة الثانية، وينظر ١٥/ ٦٦ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١١٢ .

(٦) ١٨/ ١٢ - ١٣ .

(٧) بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣٤ .

عيسى ومحمدٍ صلوات الله عليهما وسلامه، خمس مئة عام، وإنما كان من أجل بعثة النبيِّ ﷺ، فلما بُعث محمدٌ ﷺ منعوا من السماوات كلِّها، وحُرست بالملائكة والشُّهب.

قلت: ورواه عطية العوفيُّ عن ابن عباس، ذكره البيهقي[١].

وقال عبد الله بن عمر[٢]: لمَّا كان اليومُ الذي نُبِّئ رسولُ الله ﷺ، مُنعت الشياطين ورُمُوا بالشُّهب. وقال عبد الملك بن سابور[٣]: لم تكن السماء تُحرس في الفترة بين عيسى ومحمدٍ عليهما الصلاة والسلام، فلما بُعث محمدٌ ﷺ حُرست السماء، ورُميت الشياطين بالشُّهب، ومُنعت من الدُّنوّ من السماء. وقال نافع ابن جُبير: كانت الشياطين في الفترة تَسمع فلا تُرمَى، فلما بعث رسولُ الله ﷺ رُميت بالشُّهب. ونحوهُ عن أُبيِّ بن كعب قال: لم يُرمَ بنجم منذ رُفع عيسى حتى نُبِّئ رسولُ الله ﷺ فرُمي بها[٤].

وقيل: كان ذلك قبل المبعث، وإنما زادت بمبعث رسولِ الله ﷺ إنذاراً بحاله[٥]؛ وهو معنى قولهِ تعالى: ﴿مُلِئَتْ﴾ أي: زيد في حَرَسها؛ وقال أَوْس بن حَجَر، وهو جاهلي:

فانقضَّ كالدُّرِّيِّ يَتْبعهُ نَقْعٌ يثورُ تخالهُ طُنُباً

وهذا قول الأكثرين[٦]. وقد أنكر الجاحظُ هذا البيتَ وقال: كلُّ شعر رُوي فيه فهو مصنوع[٧]، وأنَّ الرمي لم يكن قبل المبعث.

---

(١) في دلائل النبوة ٢/ ٢٤٢ .

(٢) في(ظ): عبد الله بن المبارك، والأثر أخرجه أبو نعيم في الدلائل (١٧٩) عن عبد الله بن عمرو.

(٣) لم نقف على ترجمته.

(٤) أخرجه الواقدي وأبو نعيم كما في الدر المنثور ٦/ ٢٧٣ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١١٢ .

(٦) المصدر السابق. والبيت في ديوان أوس ص٣. الطُّنب: حبل الخِباء. الصحاح (طنب).

(٧) النكت والعيون ٦/ ١١٢ .

والقولُ بالرمي أصحّ؛ لقوله تعالى: ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾. وهذا إخبارٌ عن الجنّ، أنه زِيد في حرس السماء حتى امتلأت منها ومنهم؛ ولِمَا رُوي عن ابن عباس قال: بينما النبيُّ ﷺ جالسٌ في نفر من أصحابه إذ رُمي بنجم، فقال: «ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية»؟ قالوا: كنَّا نقول: يموت عظيم أو يولد عظيم. فقال النبيُّ ﷺ: «إنها لا تُرْمَى لموت أحدٍ ولا لحياته، ولكنَّ ربَّنا سبحانه وتعالى إذا قضى أمراً في السماء؛ سبَّح حَمَلةُ العرش، ثم سبَّح أهل كلِّ سماء، حتى ينتهيَ التسبيح إلى هذه السماء، ويستخبرُ أهلُ السماء حَمَلةَ العرش: ماذا قال ربُّكم؟ فيخبرونهم، ويخبر أهلُ كلِّ سماءٍ حتى ينتهيَ الخبرُ إلى هذه السماء، فتتخَطَّف الجنُّ، فيُرْمَون، فما جاؤوا به فهو حقّ، ولكنهم يزيدون فيه»[(١)]. وهذا يدلُّ على أنَّ الرجم كان قبل المبعث.

وَرَوى الزُّهريُّ نحوَه عن عليِّ بن الحسين بن[(٢)] عليِّ بن أبي طالب، عن ابن عباس، وفي آخره: قيل للزهريِّ: أكان يُرمَى في الجاهلية؟ قال: نعم. قلت: أفرأيتَ قولَه سبحانه: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ قال: غُلِّظت وشُدِّد أمرُها حين بُعث النبيُّ ﷺ[(٣)]. ونحوَه قال القُتبي. قال ابن قتيبة: كان، ولكن اشتدَّت الحراسة بعد المبعث؛ وكانوا من قبلُ يسترِقُون ويُرمَون في بعض الأحوال، فلما بُعث محمدٌ ﷺ مُنعت من ذلك أصلاً[(٤)].

وقد تقدَّم بيانُ هذا في سورة الصافات عند قوله: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ . دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾[(٥)] [الآية: ٨-٩] قال الحافظ: فلو قال قائل: كيف تتعرَّض الجنُّ

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٨٣)، ومسلم (٢٢٢٩) من طريق الزهري، عن علي بن الحسين، عن ابن عباس بنحوه.

(٢) في (د) و(م): عن، وهو خطأ.

(٣) دلائل النبوة ٢/ ٢٣٧، وهذه الرواية عند أحمد (١٨٨٢) في أثناء الحديث.

(٤) تأويل مشكل القرآن ص٣٣٣.

(٥) ١٨/ ١٢ - ١٣.

لإحراقِ نفسِها بسبب استماعِ خبر، بعد أن صار ذلك معلوماً لهم؟

فالجواب: أنَّ الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تَعْظُمَ المِحْنة، كما ينسَى إبليس في كلِّ وقتٍ أنه لا يسلم، وأنَّ الله تعالى قال له: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٥] ولولا هذا لَمَا تحقَّقَ التكليف.

والرَّصَد؛ قيل: من الملائكة، أي: ورَصَداً من الملائكة. والرَّصَدُ: الحافظ للشيء، والجمع أرصاد، وفي غير هذا الموضعِ يجوز أن يكون جمعاً كالحرس، والواحد: راصد. وقيل: الرَّصَد هو الشِّهاب، أي: شهاباً قد أُرصد له، ليُرجَمَ به؛ فهو فَعَلٌ بمعنى مفعول، كالخَبَط والنَّقَض[1].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: بهذا[2] الحرسِ الذي حُرست بهم السماء ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ أي: خيراً.

قال ابن زيد: قال إبليس: لا ندري هل أراد الله بهذا المنع أن يُنزل على أهل الأرض عذاباً أو يُرسل إليهم رسولاً؟[3]

وقيل: هو من قول الجنِّ فيما بينهم قبل أن يسمعوا قراءةَ النبيِّ ﷺ. أي: لا ندري أَشَرٌّ أُرِيدَ بمَن في الأرض بإرسال محمدٍ إليهم، فإنهم يكذِّبونه ويَهلكون بتكذيبه كما هلك مَن كذَّب مِن الأمم، أم أراد أن يؤمنوا فيهتدوا. فالشرُّ والرَّشَد على هذا الكفرُ والإيمان؛ وعلى هذا كان عندهم علمٌ بمبعث النبيِّ ﷺ، ولمَّا سمعوا قراءته علموا أنهم مُنعوا من السماء حراسةً للوحي.

وقيل: لا؛ بل هذا قولٌ قالوه لقومهم بعد أن انصرفوا إليهم منذرين، أي: لمَّا آمنوا أشفقوا ألَّا يؤمنَ كثير من أهل الأرض، فقالوا: إنا لا ندري أيكفر أهلُ الأرض بما آمنَّا به أم يؤمنون؟

---

(١) الخَبَط: ما سقط من ورق الشجر بالخَبْط، ونحوه النَّقَض.

(٢) في (د) و(م): هذا.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/٣٢٨ بنحوه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ هذا من قول الجنِّ، قال بعضهم لبعض لمَّا دَعَوا أصحابهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ: وإنَّا كنَّا قبل استماع القرآنِ منَّا الصالحون ومنَّا الكافرون.

وقيل: ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: دون الصالحين في الصلاح، وهو أشبه مِن حَمْله على الإيمان والشرك[(١)].

﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ أي: فِرَقاً شتَّى؛ قاله السُّدِّيّ. الضَّحاك: أدياناً مختلفة[(٢)]. قتادة: أهواءً متباينة[(٣)]؛ ومنه قول الشاعر:

القابضُ الباسطُ الهادي لطاعتهِ ... في فتنة الناسِ إذ أهواؤهم قِدَدُ[(٤)]

والمعنى: أي: لم يكن كلُّ الجنِّ كفاراً، بل كانوا مختلفين؛ منهم كفَّار، ومنهم مؤمنون صلحاء، ومنهم مؤمنون غير صلحاء. وقال المسيّب[(٥)]: كنا مسلمين ويهود ونصارى ومجوس. وقال السُّدِّي في قوله تعالى: ﴿طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ قال: في الجنّ مِثْلُكم: قَدَريَّة، ومُرْجئة، وخوارج، ورافضة، وشيعة، وسُنِّية[(٦)]. وقال قوم: أي: وإنَّا بعد استماع القرآن مختلفون: منَّا المؤمنون ومنَّا الكافرون. أي: ومنَّا الصالحون، ومنَّا مؤمنون لم يتناهَوا في الصلاح. والأوَّل أحسن؛ لأنه كان في الجنّ مَن آمن بموسى وعيسى، وقد أخبر اللهُ عنهم أنهم قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١١٣ . .

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٠ .

(٤) البيت للراعي النميري، وهو في ديوانه ص٦٣، والكلام في النكت والعيون ٦/ ١١٣ .

(٥) في فتح القدير٥/ ٣٠٦ :سعيد بن المسيب.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٣ ، وزاد المسير ٨/ ٣٨٠ عن الحسن والسدي.

مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأحقاف: ٣٠]. وهذا يدلُّ على إيمان قومٍ منهم بالتوراة، وكان هذا مبالغةً منهم في دعاء مَن دَعَوهم إلى الإيمان. وأيضاً لا فائدة في قولهم: نحن الآن منقسمون إلى مؤمن وإلى كافر.

والطرائق: جمع الطريقة، وهي مذهب الرجل، أي: كنَّا فِرَقاً مختلفة. ويقال: القوم طرائق، أي: على مذاهبَ شتّى. والقِدَد: نحوٌ من الطرائق، وهو توكيدٌ لها، واحدها: قِدَّة. يقال: لكل طريق قِدَّة، وأصلها مِن قَدِّ السُّيور، وهو قَطْعُها؛ قال لبيد يرثي أخاه أَرْبَد[1]:

لم تَبْلُغ العينُ كلَّ نَهْمَتها ... ليلةَ تُمْسي الجِيادُ كالقِدَدِ

وقال آخر:

ولقد قلتُ وزَيدٌ حاسرٌ ... يومَ وَلَّتْ خَيلُ عَمْرٍو قِدَدا[2]

والقِدّ ـ بالكسر ـ سَيْر يُقَدُّ من جلد غير مدبوغ؛ ويقال: ماله قِدٌّ ولا قِحْف؛ فالقِدُّ: إناء من جلد، والقِحف: من خشب[3].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الظنُّ هنا بمعنى العلم واليقين، وهو خلاف الظنِّ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نَّقُولَ﴾، ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾ أي: عَلِمْنا بالاستدلال والتفكُّر في آيات الله أنَّا في قبضته وسلطانه، لن نفوتَه بهرب ولا غيرِه. و﴿هَرَبًا﴾ مصدرٌ في موضع الحال[4]، أي: هاربين.

---

(١) في النسخ: زيداً، والتصويب من المصادر، والبيت في ديوان لبيد ص٥٠ .

(٢) نسبه الشوكاني في فتح القدير ٥/ ٣٠٦ للبيد، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٧٣ فقال: وأخرج الطستي في مسائله عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله... قال ابن عباس: أما سمعت الشاعر وهو يقول... ثم ذكره .

(٣) الصحاح (قدد).

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٤٩ .

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ يعني القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ وبالله، وصدَّقنا محمداً ﷺ على رسالته. وكان ﷺ مبعوثاً إلى الإنس والجنّ. قال الحسن: بعث اللهُ محمداً ﷺ إلى الإنس والجنّ، ولم يبعث الله تعالى قطُّ رسولاً من الجنّ، ولا من أهل البادية، ولا من النساء؛ وذلك قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يوسف:١٠٩][1] وقد تقدَّم هذا المعنى[2]. وفي الصحيح[3]: «وبُعثتُ إلى الأحمر والأسود» أي: الإنس والجنّ.

﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ قال ابن عباس: لا يخاف أن يُنْقَص من حسناته ولا أن يزادَ في سيئاته؛ لأن البخس النقصان، والرَّهَق العدوان[4] وغشيان المحارم، قال الأعشى[5]:

لا شيء ينفعني من دونِ رؤيتِها ... هل يَشتفي وامِقٌ مالم يُصِبْ رَهَقاً

الوامق: المحبّ؛ وقد وَمِقَه يمِقُه ـ بالكسر ـ أي: أحبَّه، فهو وامق[6].

وهذا قولٌ حكاه الله تعالى عن الجِنّ؛ لقُوَّة إيمانهم وصِحَّةِ إسلامهم[7].

وقراءة العامة: «فَلَا يَخَافُ» رفعاً، على تقدير: فإنه لا يخاف. وقرأ الأعمش

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١١٣ .

(٢) ١١/ ٤٦٩-٤٧٠

(٣) صحيح البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١). وسلف ٤/ ٢٥٨ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ١١٣-١١٤ . وقول ابن عباس أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٢ .

(٥) ديوانه ص٤١٥ ، وسلف ص٢٨٤ من هذا الجزء.

(٦) الصحاح (ومق).

(٧) النكت والعيون ٦/ ١١٤ .

ويحيى وإبراهيم: «فَلَا يَخَفْ» جزماً على جواب الشرط وإلغاء الفاء[١].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ أي: وأنَّا بعد استماع القرآن مختلفون، فمنَّا مَن أسلم ومنَّا مَن كفر. والقاسط: الجائر، لأنه عادلٌ عن الحقّ، والمُقْسِط: العادل؛ لأنه عادل إلى الحق؛ قسط: إذا جار، وأقسط: إذا عدل؛ قال الشاعر[٢]:

قومٌ هُمُ قتلوا ابنَ هندٍ عَنوةً عَمْراً وهمْ قَسَطُوا على النُّعْمانِ

﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ أي: قصدوا طريق الحقِّ وتوخَّوه[٣]. ومنه تحرِّي القِبلة. ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ أي: الجائرون عن طريق الحقِّ والإيمان ﴿فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ أي: وَقوداً. وقوله: ﴿فَكَانُوا۟﴾ أي: في علم الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ هذا مِن قول الله تعالى. أي: لو آمن هؤلاء الكفار، لوسَّعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في الرزق. وهذا محمولٌ على الوحي، أي: أُوحي إليَّ: أنْ لو استقاموا.

ذكر ابن بحر: كلُّ ما في السورة مِن «إنَّ» المكسورة المثقَّلة فهي حكايةٌ لقول الجِنِّ الذين استمعوا القرآن، فرجعوا إلى قومهم منذرين، وكلُّ ما فيها مِن «أنْ» المفتوحة المخففة[٤] فهي وحيٌ إلى رسول الله ﷺ.

---

(١) نسب القراءة النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٤٩ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٢ للأعمش ويحيي بن وثاب، ونسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٣ ليحيى بن وثاب.

(٢) هو الفرزدق، والبيت في الشعر والشعراء ١/ ٢٣٥ ، والمحرر ٥/ ٣٨٢ ، والأغاني ١١/ ٥٤ ، والخزانة ٦/ ٩ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٣ .

(٤) بعدها في النكت والعيون ٦/ ١١٦ـ والكلام منه ـ: أو المثقلة . اهـ. وفي هذا الكلام خلاف، وينظر ما سلف ص٢٧٩-٢٨٠ من هذا الجزء.

وقال ابن الأنباريّ[١]: ومَن كسر الحروف وفتح «وأَنْ لو استقاموا» أضمر يميناً تامَّاً[٢]، تأويلها: واللهِ أنْ لو استقاموا على الطريقة؛ كما يقال في الكلام: والله أَنْ [لو] قمتَ لقمتُ، ووالله لو قمتَ قمتُ؛ قال الشاعر:

أَمَا واللهِ أَنْ لو كُنتَ حُرًّا ... وما بِالحُرِّ أنتَ ولا العَتِيقِ[٣]

ومَن فتح ما قبل المخفَّفة نسَقها ـ أعني الخفيفة ـ على: «أوحيَ إليَّ أَنَّه»، «وأَنْ لو استقاموا»، أو على[٤]: «آمنَّا به» وبأن لو استقاموا. ويجوز لمن كسر الحروف كلَّها إلى «أن» المخففة، أن يعطف المخفَّفةَ على: «أُوحيَ إليَّ» أو على: «آمنَّا به»، ويستغني عن إضمار اليمين.

وقراءة العامة بكسر الواوِ مِن «لو»؛ لالتقاء الساكنين. وقرأ ابن وثَّاب والأعمش بضمِّ الواو[٥].

﴿مَّآءً غَدَقًا﴾ أي: واسعاً كثيراً، وكانوا قد حُبِس عنهم المطرُ سبعَ سنين[٦]؛ يقال: غَدِقت العينُ تَغدَق فهي غَدِقة: إذا كَثُر ماؤها. وقيل: المراد الخلق كلُّهم، أي: «لو استقاموا على الطَّريقة» طريقةِ الحقِّ والإيمان والهدى، وكانوا مؤمنين مطيعين، «لَأَسقيناهُمْ ماءً غَدَقاً» أي كثيراً: «لِنَفتِنَهُمْ فيه» أي: لنختبرهم كيف شكرُهم فيه على تلك النِّعَم.

وقال عمر في هذه الآية: أينما كان الماءُ كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة[٧]. فمعنى «لَأَسقيناهُمْ»: لوسَّعنا عليهم في الدنيا؛ وضَرَب الماءَ الغَدَقَ الكثيرَ

---

(١) في الوقف والابتداء ٢/ ٩٥١-٩٥٢. وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٢) قوله: تامَّاً، ليس في الوقف والابتداء.

(٣) سلف ١١/ ٣٣٦.

(٤) في النسخ الخطية والمصدر: وعلى، والمثبت من (م).

(٥) القراءات الشاذة ص١٦٣، والمحتسب ٢/ ٣٣٣.

(٦) قاله مقاتل كما في الوسيط للواحدي ٤/ ٣٦٦، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠٣.

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٧.

لذلك مثلاً؛ لأنَّ الخير والرزق كله بالمطر يكون، فأُقيم مقامه؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] وقولِهِ تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦][1] أي: بالمطر. والله أعلم.

وقال سعيد بن المسيّب وعطاء بن أبي رَبَاح والضحَّاك وقتادة ومقاتل وعطية وعُبيد بنُ عمير والحسن: كان ـ واللهُ ـ أصحابُ النبيِّ ﷺ سامعين مطيعين، ففُتحت عليهم كنوزُ كسرى وقيصر والمقوقس والنجاشيِّ ففُتنوا بها، فوثبوا على إمامهم فقتلوه. يعني عثمان بنَ عفَّان[2].

وقال الكلبيُّ وغيره: «وأنْ لو استقاموا على الطَّريقة» التي هم عليها من الكفر فكانوا كلُّهم كفاراً، لوَّسعنا أرزاقهم مكراً بهم واستدراجاً لهم، حتى يَفتتنوا بها، فنعذِّبهم بها في الدنيا والآخرة. وهذا قولٌ قاله الربيع بنُ أنس وزيد بن أسلم وابنه والكلبيُّ والثُّماليُّ وَيَمَان بنُ رِئاب وابن كيسان وأبو مِجْلَز؛ واستدلُّوا بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤][3] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ [الزخرف: ٣٣].

والأوَّل أشبه؛ لأنَّ الطريقة معرَّفةٌ بالألف واللام، فالأوجب أن تكون طريقته طريقةَ الهدى[4]؛ ولأن الاستقامة لا تكون إلَّا مع الهدى. وفي صحيح مسلم[5] عن

---

(١) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٦٧ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠٣ .

(٢) ذكره عن الحسن وسعيد بن المسيب ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣ .

(٣) قول الربيع وزيد والكلبي وابن كيسان في تفسير البغوي ٤/ ٤٠٤ ، وعن أبي مجلز أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٨ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣٦ .

(٥) برقم (١٠٥٢): (١٢٢)، وسلف ١٣/ ٢٠٨ .

أبي سعيد الخُدريِّ ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أخوفُ ما أخاف عليكم ما يُخرج الله لكم مِن زَهْرة الدنيا» قالوا: وما زهرة الدنيا؟ قال: «بركات الأرض. .» وذَكَر الحديث. وقال عليه الصلاة والسلام: «فواللهِ ما الفقرَ أخشى عليكم، وإنما أخشى عليكم أن تُبسط عليكم الدنيا [كما بُسطت على مَن قبلكم] فتنافسوها كما تنافسوها، فتُهلِكَكم كما أهلكتهم»(١).

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ يعني القرآن؛ قاله ابن زيد. وفي إعراضه عنه وجهان: أحدهما عن القَبول؛ إن قيل: إنها في أهل الكفر. الثاني عن العمل؛ إن قيل: إنها في المؤمنين(٢). وقيل: «ومَنْ يُعْرِضْ عن ذِكْر ربِّه» أي: لم يشكر نعمه.

﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ قرأ الكوفيُّون وعبّاسٌ(٣) عن أبي عمرو: «يَسْلُكْهُ» بالياء، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ لِذِكر اسمِ اللهِ أوَّلاً فقال: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾. الباقون: «نَسْلُكْهُ» بالنون(٤). وروي عن مسلم بن جُندب ضمُّ النون وكسرُ اللام(٥). وكذلك قرأ طلحة والأعرج، وهما لغتان، سلكه وأسلكه بمعنىً؛ أي: ندخله.

﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي: شاقّاً شديداً. قال ابن عباس: هو جبل في جهنم(٦). الخدريّ(٧): كلَّما جعلوا أيديهم عليه ذابت. وعن ابن عباس: أنَّ المعنى: مشقَّة من العذاب(٨). وذلك معلوم في اللغة أنَّ الصَّعَد: المشقة، تقول: تَصعَّدتني الأمر: إذا شقَّ عليك؛ ومنه قول عمر: ما تَصعَّدني شيءٌ ما تَصعَّدتني خُطبة النكاح، أي: ما شقَّ

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٢٣٤)، والبخاري (٣١٥٨)، ومسلم (٢٩٦١) من حديث عمرو بن عوف ﷺ. وما بين حاصرتين من هذه المصادر.

(٢) النكت والعيون ٦/١١٨ .

(٣) في (د) و(ظ) و(م): عياش. ولم نقف على هذه الرواية.

(٤) السبعة ص٦٥٦ ، والتيسير ٢١٥ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٥١ وهي قراءة شاذة .

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٩ .

(٧) قوله: الخدري، ليس في (ظ).

(٨) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٩ .

عليَّ[١]. وعذاب صَعَد ، أي شديد. والصَّعَد: مصدر صَعِد؛ يقال: صَعِدَ صَعَداً وصُعوداً، فوصف به العذاب؛ لأنه يتصعَّد المعذَّب، أي: يعلوه ويغلبه، فلا يطيقه[٢]. وقال أبو عبيدة[٣]: الصَّعَد مصدر، أي: عذاباً ذا صَعَدٍ، والمشي في الصَّعود يشقّ. والصَّعود: العقبة الكؤود[٤]. وقال عكرمة: هو صخرة ملساء في جهنم يُكلَّف صعودَها؛ فإذا انتهى إلى أعلاها حُدِر إلى جهنم[٥].

وقال الكلبيّ: يكلَّف الوليد بنُ المغيرة أن يصعد جبلاً في النار من صخرة ملساء، يُجذب من أمامه بسلاسل، ويُضرب مِن خلفه بمقامع حتى يبلغ أعلاها، ولا يبلغُ إلَّا[٦] في أربعين سنة. فإذا بلغ أعلاها أُحْدِر إلى أسفلها، ثم يكلَّف أيضاً صعودَها، فذلك دأبُه أبداً، وهو قولهُ تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾

فيه ستُّ مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ «أَنَّ» بالفتح، قيل: هو مردودٌ إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ أي: قل أُوحي إليَّ أنَّ المساجد لله. وقال الخليل: أي: ولأنَّ المساجد لله[٧]. والمراد البيوت التي تبنيها أهلُ المِللِ للعبادة. وقال سعيد بن جبير: قالت الجِنّ: كيف لنا أن نأتيَ المساجدَ ونشهدَ معك الصلاةَ ونحن ناؤون عنك؟ فنزلت: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾[٨] أي: بُنيت لِذِكر الله وطاعته.

---

(١) تفسير غريب القرآن ص٤٩١ ، والكشاف ٤/ ١٧٠ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣ .

(٢) الكشاف ٤/ ١٧٠ .

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٢٧٣، ووقع في (ز) و(ظ): أبو عبيد.

(٤) الصحاح (صعد).

(٥) ذكره الفراء في معاني القرآن ٣/ ١٩٤ دون نسبة.

(٦) لفظة: إلا، من (ظ). وهذا القول ذكره الفراء مختصراً دون نسبة.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣ .

(٨) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٤١ .

وقال الحسن: أراد بها كلَّ البقاع؛ لأن الأرض كلَّها مسجد للنبيِّ ﷺ[١]، يقول: أينما كنتم فصلُّوا، فأينما صلَّيتم فهو مسجد[٢] وفي الصحيح[٣]: «وجُعلت ليَ الأرضُ مسجداً وطَهوراً».

وقال سعيد بن المسيّب وطَلْق بنُ حبيب: أراد بالمساجد الأعضاءَ التي يَسجد عليها العبد[٤] وهي: القدمان، والركبتان، واليدان، والوجه؛ يقول: هذه الأعضاء أنعم الله بها عليك، فلا تسجدْ لغيره بها، فتجحدَ نعمةَ الله. قال عطاء: مساجدك: أعضاؤك التي أُمرت أن تسجد عليها لا تذلِّلها لغير خالقِها.

وفي الصحيح[٥] عن ابن عباس، عن النبيِّ ﷺ قال: «أُمرت أن أسجد على سبعة أعظُم: الجبهةِ ـ وأشار بيده إلى أنفه ـ واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين». وقال العباس: قال النبيُّ ﷺ « إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب»[٦].

وقيل: المساجد: هي الصلوات، أي: لأن السجود لله. قاله الحسن أيضاً[٧].

فإن جعلت المساجدَ المواضع، فواحدُها مَسجِد، بكسر الجيم، ويقال بالفتح، حكاه الفرَّاء. وإن جعلتها الأعضاء، فواحدها مَسجَد، بفتح الجيم[٨].

---

(١) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٦٧ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠٤ .

(٢) أخرج أحمد (٢١٣٣٣)، والبخاري (٣٤٢٥)، ومسلم (٥٢٠) عن أبي ذر ﷺ مرفوعاً ضمن حديث: «أينما أدركتك الصلاة فصلّ، فهو مسجد».

(٣) صحيح البخاري (٣٣٥)، وصحيح مسلم (٥٢١)، وسلف ٢/ ٢٨٣ .

(٤) نسب هذا القول الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٦٧ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٠٤ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٨٢ لسعيد بن جبير، ونسبه الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١١٩ للربيع، ونسبه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣ لابن عطاء.

(٥) صحيح البخاري (٨١٢)، وصحيح مسلم (٤٩٠): (٢٣٠). وسلف ٢/ ٢٨ .

(٦) أخرجه أحمد (١٧٦٤) ، ومسلم (٤٩١) قوله: آراب، أي: أعضاء، واحدها إرْبٌ، بالكسر والسكون، والمراد بها الأعضاء السبعة المذكورة قبل .

(٧) ذكر قوله أبو الليث في تفسيره٣/ ٤١٣ ، ونسبه الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١١٩ لابن شجرة.

(٨) تفسير البغوي٤/ ٤٠٤ ، وكلام الفراء في الصحاح(سجد).

وقيل: هو جمع مَسجَد، وهو السجود، يقال: سجدت سجوداً ومَسجَداً، كما تقول: ضربت في الأرض ضَرْباً ومَضرَباً، بالفتح: إذا سرتَ في ابتغاء الرِّزق[١].

وقال ابن عباس: المساجد هنا مكةُ التي هي القِبلة، وسمِّيت مكة المساجد، لأنَّ كلَّ أحدٍ يسجد إليها.

والقول الأوَّل أظهر هذه الأقوالِ إن شاء الله، وهو مرويٌّ عن ابن عباس رحمه الله[٢].

الثانية: قوله تعالى: «لِلَّهِ» إضافةُ تشريفٍ وتكريم، ثم خصَّ بالذِّكر منها البيت العتيق، فقال: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ [الحج: ٢٦]. وقال عليه الصلاة والسلام: «لاتُعمَل المَطِيُّ إلَّا إلى ثلاثة مساجد»[٣] الحديث خرَّجه الأئمة. وقد مضى الكلامُ فيه. وقال عليه الصلاة والسلام: «صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه إلَّا المسجدَ الحرام».

قال ابن العربي: وقد روي من طريق لابأس بها أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه إلَّا المسجدَ الحرام، فإنَّ صلاة فيه خيرٌ من مئة صلاة في مسجدي هذا» ولوصحَّ هذا لكان نَصًّا[٤].

قلت: هو صحيحٌ بنقل العدل عن العدل حَسب ما بيَّنَّاه في سورة إبراهيم[٥].

الثالثة: المساجد وإن كانت لله ملكاً وتشريفاً، فإنها قد تُنسب إلى غيره تعريفاً، فيقال: مسجد فلان. وفي صحيح الحديث أنَّ النبيَّ ﷺ سابقَ بين الخيل التي أُضمرت

---

(١) تفسير غريب القرآن ص٤٩١.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١١٩ .

(٣) قطعة من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه أحمد (٢٣٨٤٨)، والنسائي ٣/ ١١٣-١١٤ . وسلف ٧/ ٧٢ بلفظ: لاتشد الرحال...

(٤) أحكام القرآن ٤/ ١٨٥٧ ، والحديث أخرجه أحمد(١٦١١٧)، وسلف ١٢/ ١٥١ .

(٥) ١٢/ ١٥١ .

من الحفياء، وأمدُها ثَنيَّةُ الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تُضمَّر من الثنيَّة إلى مسجد بني زُريق. وتكون هذه الإضافة بحكم المحلِّية كأنها في قبلتهم، وقد تكون بتحبيسهم، و لا خلاف بين الأمة في تحبيس المساجد والقناطر والمقابر و إن اختلفوا في تحبيس غير ذلك[١].

الرابعة: مع أنَّ المساجد لله لا يُذكر فيها إلَّا الله، فإنه تجوز القِسمةُ فيها للأموال. ويجوز وضع الصَّدقات فيها على رسم الاشتراك بين المساكين، وكلُّ مَنْ جاء أكل. ويجوز حبس الغريم فيها، وربط الأسير، والنومُ فيها، وسكنى المريض فيها، وفتح الباب للجار إليها، وإنشاد الشعر فيها إذا عَرِيَ عن الباطل[٢]. وقد مضى هذا كلُّه مبيَّناً في سورة براءة والنور وغيرِهما[٣].

الخامسة: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ هذا توبيخٌ للمشركين في دعائهم مع الله غيرَه في المسجد الحرام[٤]. وقال مجاهد: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيَّه والمؤمنين أن يُخلِصوا لله الدعوةَ إذا دخلوا المساجد كلَّها[٥]. يقول: فلا تشركوا فيها صنماً وغيرَه مما يُعبد.

وقيل: المعنى: أَفرِدوا المساجدَ لذكر الله، ولا تتَّخذوها هُزُواً وَمتْجَراً ومجلساً، ولا طرقاً، ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيباً[٦]. وفي الصحيح[٧]: « مَن نَشَد ضالَّةً في

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٥٧ ، والحديث أخرجه البخاري (٢٨٦٩)، ومسلم(١٨٧٠)، وسلف ١١/ ٢٨٢

(٢) أحكام القرآن ٤/ ١٨٥٨ .

(٣) ١٠/ ١٥٢ فما بعد، ١٥/ ٢٧٠ فما بعد.

(٤) أحكام القرآن ٤/ ١٨٥٨ .

(٥) أخرج هذا القول عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٢٣ عن قتادة. ونسبه له أيضاً أبو الليث في تفسيره ٣/ ٤١٣ ، والواحدي في الوسيط ٤/ ٣٦٧ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٠٤ ، والزمخشري في الكشاف ٤/ ١٧٠ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٨٢ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣ بنحوه.

(٧) صحيح مسلم (٥٦٨)، وسلف ١٥/ ٢٨١ .

المسجد فقولوا: لا ردَّها الله عليك، فإنَّ المساجد لم تُبْنَ لهذا».

وقد مضى في سورة النور ما فيه كفايةٌ من أحكام المساجد، والحمدُ لله.

السادسة: روى الضحَّاك عن ابن عباس أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا دخل المسجد قدَّم رِجلَه اليمنى، وقال: «وأنَّ المساجدَ للهِ فلا تَدْعُوا مع الله أَحَداً» اللهمَّ أنا عبدك وزائرك، وعلى كل مزور حقّ، وأنت خيرُ مزور، فأسألك برحمتك أن تَفُكَّ رقبتي من النار» فإذا خرج من المسجد قدَّم رجله اليسرى، وقال: « اللهم صُبَّ عليَّ الخيرَ صبًّا، ولا تَنزِع عني صالحَ ما أعطيتني أبداً، ولا تجعل معيشتي كَدًّا، واجعل لي في الأرض جَدًّا»[١] أي: غنىً.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ يجوز الفتح، أي: أوحى اللهُ أنه.

ويجوز الكسر على الاستئناف. و«عبد الله» هنا محمدٌ ﷺ حين كان يصلِّي ببطن نخلة ويقرأ القرآن، حسب ما تقدَّم أوَّلَ السورة ﴿يَدْعُوهُ﴾ أي: يعبده. وقال ابن جُريج: « يَدْعُوهُ» أي: قام إليهم داعياً لهم إلى الله تعالى[٢].

﴿كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال الزبير بن العوَّام: هم الجنُّ حين استمعوا القرآن من النبيِّ ﷺ[٣]. أي: كاد يركب بعضُهم بعضاً ازدحاماً ويسقطون حرصاً على سماع القرآن. وقيل: كادوا يركبونه حرصاً، قاله الضحَّاك[٤]. ابن عباس: رغبةً في سماع الذِّكر. وروى بُرْدٌ عن مكحول[٥]: أنَّ الجنَّ بايعوا رسول الله ﷺ في هذه الليلة،

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٢٠ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٢٠ بنحوه .

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٤٣ .

(٥) في النكت والعيون ٦/ ١٢١: روى مكحول عن ابن مسعود، ثم ذكر الخبر.

وكانوا سبعين ألفاً، وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر. وعن ابن عباس أيضاً: أنَّ هذا من قول الجنِّ، لمَّا رجعوا إلى قومهم أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب النبيِّ ﷺ وائتمامِهم به في الركوع والسجود[١].

وقيل: المعنى: كاد المشركون يركب بعضهم بعضاً حَرَدًا[٢] على النبيِّ ﷺ. وقال الحسن وقتادة وابن زيد: يعني«لمَّا قام عبد الله» محمدٌ بالدعوة، تَلبَّدت الإنس والجنُّ على هذا الأمر ليطفئوه، فأَبَى اللهُ إلَّا أن ينصره ويُتمَّ نوره.

واختار الطبريُّ[٣] أن يكون المعنى: كادت العرب يجتمعون على النبيِّ ﷺ، ويتظاهرون على إطفاء النورِ الذي جاء به. وقال مجاهد[٤]: قوله: «لِبَداً»: جماعات، وهو مِن: تَلَبَّد الشيءُ على الشيء، أي: تجمَّع، ومنه اللِّبْد الذي يفرش لتراكم صوفه. وكلُّ شيءٍ ألصقته إلصاقاً شديداً فقد لبَّدته[٥]، وجمع اللِّبدة: لِبَد، مثل: قِرْبة وقِرَب. ويقال للشَّعر الذي على ظهر الأسد: لِبْدة، وجمعها لِبَد[٦]، قال زهير:

لـدى أَسَـدٍ شـاكـي الـسِّـلاحِ مُـقَـذَّفٍ لـه لِـبَـدٌ أَظـفـارُه لـم تُـقَـلَّـمِ[٧]

ويقال للجراد الكثير: لِبَد.

وفيه أربع لغات وقراءات: فتح الباء وكسر اللام، وهي قراءة العامَّة. وضمُّ اللام وفتح الباء، وهي قراءة مجاهدٍ وابنِ مُحَيْصن وهشام عن أهل الشام[٨]، واحدتها لُبْدة. وبضمِّ اللام والباء، وهي قراءة أبي حَيْوة ومحمد بنِ السَّمَيْفَع وأبي الأشهب

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٢٣) وقال: حديث حسن صحيح، والطبري ٢٣/ ٣٤٤.

(٢) الحَرَد: الغضب. الصحاح(حرد).

(٣) في تفسيره ٢٣/ ٣٤٥، وفيه قول الحسن وقتادة وابن زيد.

(٤) ذكر قوله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٥٢، والماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٢٠.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣٧.

(٦) الصحاح(لبد) بنحوه.

(٧) شرح ديوان زهير ص٢٣. شاكي السلاح: أي: سلاحه ذو شوكة. المقذف: الغليظ اللحم.

(٨) السبعة ص٦٥٦، والتيسير ص٢١٥، وعن مجاهد وابن محيصن في القراءات الشاذة ص١٦٣.

العُقَيلي والجَحْدري[١]. واحدها لَبْد، مثل: سَقْف وسُقُفٍ، ورَهْن ورُهُن. وبضَّم اللام وشدِّ الباء وفتحها، وهي قراءة الحسن وأبي العالية والأعرج والجَحْدريِّ أيضاً[٢]. واحدها لابِد، مثل: راكع ورُكَّع، وساجِد وسُجَّد.

وقيل: اللُّبَد، بضم اللام وفتح الباء: الشيء الدائم، ومنه قيل لنَسر لقمان: لُبَد، لدوامه وبقائه، قال النابغة:

أَخْنَى عليها الذي أَخْنَى على لُبَدِ[٣]

القشيريّ: وقُرئ: «لُبُداً» بضم اللام والباء، وهو جمع لَبِيد، وهو الجُوالِق[٤] الصغير.

وفي الصحاح: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ [البلد:٦] أي: جمًّا. ويقال أيضاً: الناس لُبَد، أي: مجتمعون، واللُّبَد أيضاً: الذي لايسافر ولايبرح [منزله] قال الشاعر[٥]:

مِن امرئٍ ذي سَماحٍ لا تزال له بَزْلاءُ يعيا بها الجَثَّامة اللُّبَدُ

ويروى: اللَّبِد. قال أبو عُبيد: وهو أشبه[٦].

ولُبَد: آخر نسور لقمان، وهو ينصرف، لأنه ليس بمعدول. وتزعم العرب أنَّ لقمان هو الذي بعثته عاد في وَفدها إلى الحرم يستسقي لها، فلما أُهلكوا، خُيِّر لقمان

---

(١) قراءة الجحدري في المحتسب ٢/ ٣٣٤ .

(٢) نسبها ابن جني في المحتسب ٢/ ٣٣٤ للحسن والجحدري، ونسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٣ للجحدري.

(٣) ديوان النابغة الذبياني ص٣١ ، وسلف ٢٠/ ١٠٤ ، وسيأتي قريباً بتمامه.

(٤) الجوالق: الوعاء. الصحاح (جلق).

(٥) هو الراعي النميري، والبيت في ديوانه ص٦٠ برواية: مِن أمرِ ذي بدوات...

(٦) الصحاح (لبد)، وماسلف بين حاصرتين منه. ووقع بعدها في (م): والبزلاء: الرأي الجيد. وفلان نهاض ببزلاء: إذا كان ممن يقوم بالأمور العظام، قال الشاعر:

إني إذا شَغَلتْ قوماً فروجُهمُ رحبُ المسالك نهَّاضٌ ببزلاءِ

بين بقاء سبع بعرات[١] سُمْر، مِن أَظْبٍ عفْر، في جبل وعَرْ، لا يَمسُّها القَطْر، أو بقاءِ سبعة أنسر، كلَّما هلك نَسر، خلف بعده نَسر، فاختار النُّسور، وكان آخر نُسوره يُسمَّى لُبَداً، وقد ذكرته الشعراء، قال النابغة:

أضحت خَلاءً وأمسى أهلُها احتملوا أَخْنَى عليها الذي أَخْنَى على لُبَدِ

واللَّبِيد: الجُوَالق الصغير، يقال: ألبدت القِرْبة، جعلتها في لَبِيد. ولبِيد: اسم شاعر من بني عامر.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ أي قال ﷺ: ﴿إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ وكذا قرأ أكثر القرَاء: «قَالَ»؛ على الخبر. وقرأ حمزة وعاصم: «قُلْ»؛ على الأمر[٢].

وسبب نزولها أنَّ كفار قريش قالوا له: إنكَ جئت بأمر عظيم، وقد عاديت الناس كلَّهم، فارجع عن هذا فنحن نجيرك، فنزلت[٣].

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أي: لاأقدر أن أدفع عنكم ضَرًّا ولا أسوق لكم خيراً[٤].

وقيل: « لا أملِك لكم ضَرًّا» أي: كفراً، «ولا رَشَداً» أي: هدًى، أي: إنما عليَّ التبليغ. وقيل: الضَّرّ: العذاب، والرَّشَد: النعيم. وهو الأوَّل بعينه. وقيل: الضَّرّ: الموت، والرَّشَد: الحياة[٥].

---

(١) في النسخ الخطبة: بقرات، والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في الصحاح (لبد)، والكلام منه. قال شارح القاموس (لبد): هكذا في نسختنا بالعين، ويوجد في بعض نسخ الصحاح: بقرات، بالقاف. . قال شيخنا: والذي في نسخ القاموس هو الأشبه ، إذ لاتتولد البقر من الظباء، ولا تكون منها.

(٢) السبعة ص٦٥٧ ، والتيسيرص٢١٥.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٦٨ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٠٥ عن مقاتل.

(٤) الوسيط ٤/ ٣٦٨ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠٥ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٢٠-١٢١ .

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ أي: لا يدفع عذابه عني أحدٌ إن استحققتُهُ[١]، وهذا لأنهم قالوا: اترك ما تدعو إليه ونحن نجيرك.

وروى أبو الجوزاء عن ابن مسعود قال: انطلقت مع النبي ﷺ ليلةَ الجنِّ، حتى أتى الحَجُون فخطَّ عليَّ خطًّا، ثم تقدَّم إليهم، فازدحموا عليه، فقال سيِّدٌ لهم يقال له وَرْدان: أنا أَزْجُلهم عنك، فقال: «إنِّي لن يجيرني من الله أحد» ذكره الماوردي[٢]، قال: ويحتمل معنيين: أحدهما: لن يجيرني مع إجارة الله لي أحد. الثاني: لن يجيرني ممَّا قدَّره اللهُ تعالى عليَّ أحد.

﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ أي: ملجأً ألجأ إليه، قاله قتادة[٣]. وعنه: نصيراً ومولىً. السُّدِّيّ: حِرزاً. الكلبي: مَدْخلاً في الأرض مثل السَّرَب[٤]. وقيل: وليًّا ولا مولىً. وقيل: مذهباً ولا مسلكاً. حكاه ابن شجرة[٥]، والمعنى واحد، ومنه قول الشاعر:

يالهْفَ نفسي ولَهْفي غيرُ مجدِيةٍ عنِّي وما مِن قضاء اللهِ مُلْتَحدُ[٦]

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ فإنَّ فيه الأمان والنَّجاة، قاله الحسن. وقال قتادة:

---

(١) في(د)و(ز) و(م): استحفظته، والمثبت من(ظ).

(٢) في النكت والعيون ٦/ ١٢١. قوله: أزجلهم، أي: أدفعهم. القاموس(زجل).

(٣) أخرج قوله الطبري ٢٣/ ٣٤٩.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٥.

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٢١.

(٦) النكت والعيون ٦/ ١٢١ دون نسبة، وهو في الدر المنثور ٤/ ٢١٨ منسوباً لخصيب الضمري.

«إِلَّا بَلَاغاً مِنَ اللهِ» فذلك الذي أملكه بتوفيق الله[١]، فأما الكفرُ والإيمان فلا أملكهما. فعلى هذا يكون مردوداً إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أي: لا أملك لكم إلَّا أن أُبلِّغكم.

وقيل: هو استثناء منقطع من قوله: ﴿لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ إلَّا[٢] أن أبلغكم، أي: لكنْ أبلِّغُكم ما أُرسلتُ به، قاله الفرَّاء[٣].

وقال الزجَّاج[٤]: هو منصوب على البدل من قوله: «مُلْتَحَداً»، أي: «ولن أَجدَ مِن دونه مُلْتَحداً» إلَّا أن أُبلِّغَ ما يأتيني من الله ورسالاته، أي: ومن رسالاته التي أمرني بتبليغها. أو: إلَّا أن أبلغ عن الله وأعملَ برسالته، فآخذ نفسي بما آمرُ به غيري.

وقيل: هو مصدر، و«لا» بمعنى لم، و«إنْ» للشرط. والمعنى: لن أجد من دونه ملتحداً[٥] إنْ لم أبلِّغ رسالاتِ ربِّي بلاغاً.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في التوحيد والعبادة. ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ كُسِرت «إنَّ» لأن ما بعد فاء الجزاء موضعُ ابتداء، وقد تقدَّم. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ نصب على الحال، وجَمَعَ «خَالِدِينَ»؛ لأنَّ المعنى: لكلِّ مَن فعل ذلك، فوحَّد أوَّلاً للفظ «مَن»، ثم جَمَعَ للمعنى[٦].

وقوله ﴿أَبَدًا﴾ دليلٌ على أنَّ العصيان هنا هو الشِّرك[٧]. وقيل: هو المعاصي غيرَ الشرك، ويكون معنى «خالدين فيها أبَداً» إلَّا أن أعفوَ أو تلحَقهم شفاعة، ولا محالة

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٥، وقول قتادة أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٠، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤.

(٢) في (ظ) و(م): أي إلا.

(٣) معاني القرآن له ٣/ ٢٥ بنحوه، وقاله مكي في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٥، وينظر المحرر الوجيز٥/ ٣٨٤.

(٤) في معاني القرآن ٥/ ٢٣٧.

(٥) بعدها في(د) و(ز) و(م): أي. والكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٥.

(٦) الكشاف ٤/ ١٧٢ بنحوه.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٥ بنحوه.

إذا خرجوا من الدنيا على الإيمان يلحقهم العفو. وقد مضى هذا المعنى مبيَّناً في سورة النساءِ وغيرها[١].

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ «حَتَّى» هنا مبتدأ، أي: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ من عذاب الآخرة، أو ما يوعدون[٢] من عذاب الدنيا، وهو القتل ببدر[٣] ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ حينئذ ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا﴾ أهم أم المؤمنون. ﴿وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ معطوف.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ يعني قيام الساعة. وقيل: عذاب الدنيا، أي: لا أدري، فـ «إنْ» بمعنى «ما» أو «لا»؛ أي: لا يَعرف وقتَ نزول العذاب ووقتَ قيام الساعة إلَّا الله؛ فهو غيبٌ لا أعلم منه إلَّا ما يعرِّفنيه الله. و«ما» في قوله: «ما يوعدون» يجوز أن يكون مع الفعل مصدراً، ويجوز أن يكون بمعنى الذي، ويقدَّر حرفُ[٤] العائد.

﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾ أي: غايةً وأجلاً. وقرأ العامَّة بإسكان الياء مِن «ربِّي» وقرأ الحِرْمِيَّان وأبو عمرو بالفتح[٥].

قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ «عَالِمُ» رفعاً؛ نعتاً لقوله: «رَبِّي». وقيل: أي: هو «عالِمُ الغيب»[٦]. والغيب: ما غاب عن العباد. وقد تقدَّم بيانُه في أوَّل سورة البقرة[٧].

---

(١) ٧/ ٣٩ فما بعد.

(٢) في (ظ): وما يوعدون.

(٣) الكشاف ٤/ ١٧٢.

(٤) في النسخ الخطية: حذف. والكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن٢/ ٧٦٥-٧٦٦ .

(٥) السبعة ص٦٥٧ ، والتيسير ص٢١٥ ، والحِرْمِيَّان: نافع المدني، وابن كثير المكي .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٥-٤٠٦ .

(٧) ١/ ٢٥١-٢٥٢ .

﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ فإنه يُظهره على ما يشاء من غيبه؛ لأنَّ الرسل مؤيَّدون بالمعجزات، ومنها الإخبارُ عن بعض الغائبات؛ وفي التنزيل: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقال ابن جبيرُ: «إلَّا مَن ارتضى مِن رسول»: هو جبريل عليه السلام[١]. وفيه بُعد، والأَوْلَى أن يكون المعنى: أي: لا يُظهر على غيبه إلَّا مَن ارتضى، أي: اصطفى للنبوَّة، فإنه يطلعه على ما يشاء من غيبه؛ ليكون ذلك دالًّا على نبوَّته[٢].

الثانية: قال العلماء رحمة الله عليهم: لمَّا تمدَّح سبحانه بعلم الغيبِ واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليلٌ على أنه لا يعلم الغيبَ أحدٌ سواه، ثم استثنى مَن ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزةً لهم ودلالةً صادقةً على نبوَّتهم. وليس المنجِّم ومَن ضاهاه ـ ممن يضرِب بالحصى، وينظر في الكتب، ويزجر بالطير ـ ممَّن ارتضاه من رسول فيطلعَه على ما يشاء من غيبه، بل هو كافرٌ بالله مفترٍ عليه؛ بحدسه وتخمينه وكذبه.

قال بعض العلماء: وليت شِعري ما يقول المنجِّم في سفينة ركب فيها ألفُ إنسان، على اختلاف أحوالهم، وتباين رتبهم، فيهم المِلك والسُّوقة، والعالم والجاهل، والغنيُّ والفقير، والكبير والصغير، مع اختلاف طوالعهم، وتباين مواليدهم، ودرجات نجومهم؛ فعمَّهم حكمُ الغَرَق في ساعة واحدة؟ فإن قال المنجِّم قبَّحه الله: إنما أغرقهم الطالعُ الذي ركبوا فيه، فيكون على مقتضى ذلك أنَّ هذا الطالع أبطل أحكام تلك الطوالع كلِّها ـ على اختلافها ـ عند ولادة كلِّ واحدٍ منهم، وما يقتضيه طالعه المخصوصُ به، فلا فائدة إذاً[٣] في عمل المواليد، ولا دلالة فيها على شقيٍّ ولا سعيد، ولم يبقَ إلَّا معاندةُ القرآن العظيم. وفيه استحلالُ دمه على هذا التنجيم. ولقد أحسن الشاعرُ حيث قال:

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٢٢.

(٢) الكلام بنحوه في الوسيط للواحدي ٤/ ٣٦٩.

(٣) في (د) و(م): أبداً.

حَكَمَ المنجِّمُ أنَّ طالعَ مولدي يقضي عليَّ بِميتة الغَرَقِ
قل للْمُنجِّم صُبْحَةَ الطُّوفانِ هل وُلد الجميعُ بكوكب الغَرَقِ

وقيل لأمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب ﷺ لمَّا أراد لقاءَ الخوارج: أتلقاهم والقمرُ في العقرب؟ فقال ﷺ: فأين قمرُهم؟ وكان ذلك في آخر الشهر. فانظر إلى هذه الكلمةِ التي أجاب بها، وما فيها من المبالغة في الردِّ على مَن يقول بالتنجيم، والإفحامِ لكل جاهلٍ يحقِّق أحكامَ النجوم.

وقال له مسافر بن عوف: يا أمير المؤمنين! لا تَسر في هذه الساعة، وسِرْ في ثلاث ساعات يمضين من النهار. فقال له عليٌّ ﷺ: ولم؟ قال: إنك إن سرت في هذه الساعة؛ أصابك وأصاب أصحابَك بلاءٌ وضرٌّ شديد، وإن سرت في الساعة التي آمُرُك بها؛ ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت. فقال عليٌّ ﷺ: ما كان لمحمد ﷺ مُنَجِّم، ولا لنا من بعده ـ في كلام طويل يَحتجُّ فيه بآيات من التنزيل ـ فمَن صدَّقك في هذا القول، لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله نِدًّا أو ضدًّا، اللهم لا طير إلَّا طيرُك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك[1]. ثم قال للمتكلِّم: نكذِّبك ونخالفك، ونسير في الساعة التي تنهانا عنها. ثم أقبل على الناس فقال: «يا أيها الناس، إياكم وتعلُّمَ النجوم، إلَّا ما تهتدون به في ظلمات البرّ والبحر؛ إنما المنجِّم كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار، والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها، لَأُخلدنَّك في الحبس ما بقيتُ وبقيتَ، ولأَحرمنَّك العطاء ما كان لي سلطان. ثم سار[2] في الساعة التي نهاه عنها، فلقي القومَ فقتلهم، وهي وقعة النَهْرَوَان الثابتةُ في الصحيح لمسلم[3]. ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها وظفرنا وظهرنا، لقال

(١) قوله: ولا إله غيرك، من (ظ) ومصدر التخريج.

(٢) في (د) و(ز) و(م): سافر.

(٣) برقم (١٠٦٤): (١٤٨) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، و(١٠٦٦): (١٥٦) من حديث زيد بن وهب الجهني ﷺ. وهو عند أحمد (٧٠٦).

قائل: سار في الساعة التي أمر بها المنجِّم، ما كان لمحمد ﷺ منجِّم، ولا لنا مِن بعده، فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائرَ البلدان. ثم قال: يا أيها الناس! توكَّلوا على الله وثِقوا به، فإنه يكفي ممَّن سواه[١].

﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ يعني ملائكة يحفظونه عن أن يَقْرُبَ منه شيطان؛ فيحفظ الوحي من استراق الشياطين والإلقاء إلى الكهنة. قال الضحَّاك: ما بعث الله نبيًّا إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين عن أن يتشبَّهوا بصورة المَلَك، فإذا جاءه شيطان في صورة المَلَك، قالوا: هذا شيطان فاحذره. وإن جاءه المَلَك، قالوا: هذا رسول ربِّك[٢].

وقال ابن عباس وابن زيد: «رَصَداً» أي: حَفَظة يحفظون النبيَّ ﷺ من أمامه ووراءه من الجنِّ والشياطين[٣]. قال قتادة وسعيد بن المسيّب: هم أربعةٌ من الملائكة حفظة[٤].

وقال الفراء[٥]: المراد جبريل؛ كان إذا نزل بالرسالة، نزلت معه ملائكة يحفظونه من أن تستمع الجنُّ الوحي، فيلقوه إلى كهنتهم فيسبقوا به الرسول.

وقال السُّدِّي: «رَصَداً» أي: حفظة يحفظون الوحي، فما جاء من عند الله قالوا: إنه من عند الله، وما ألقاه الشيطان قالوا: إنه من الشيطان[٦].

و«رَصَداً» نصب على المفعول. وفي الصحاح: والرَّصَد القوم يرصُدون كالحرس، يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر[٧] والمؤنث، وربما قالوا: أرصاد.

---

(١) أخرجه الحارث في مسنده (٥٦٤ ـ بغية الباحث).

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٣ مختصراً، وينظر النكت والعيون ٦/ ١٢٢ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠٦ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٢٢ ، وقول ابن عباس أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٤ .

(٤) قول قتادة في النكت والعيون ٦/ ١٢٢ .

(٥) في معاني القرآن ٣/ ١٩٦ .

(٦) النكت والعيون ٦/ ٣٠ .

(٧) قوله: والمذكر، من (د) و(م).

والراصد للشيء: الراقب[١] له؛ يقال: رَصَده يَرْصُده رَصْداً ورَصَداً. والتَّرصُّد: التَّرقُّب، والمَرْصَد: موضع الرصد.

قوله تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ قال قتادة ومقاتل: أي: ليعلم محمدٌ أنَّ الرسل قبله قد بلَّغوا الرسالة كما بلَّغ هو الرسالة[٢]. وفيه حذفٌ يتعلَّق به اللام؛ أي: أخبرناه بحفظنا الوحي، ليعلم أنَّ الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ بالحقِّ والصدق.

وقيل: ليعلم محمدٌ أن قد أبلغ جبريل ومَن معه إليه رسالةَ ربِّه؛ قاله ابن جبير. قال: ولم ينزل الوحي إلَّا ومعه أربعة حفظة من الملائكة عليهم السلام[٣].

وقيل: ليعلم الرسل أنَّ الملائكة بلَّغوا رسالاتِ ربِّهم.

وقيل: ليعلم الرسول ـ أيّ رسول كان ـ أنَّ الرسل سواه بلَّغوا.

وقيل: أي: ليعلم إبليس أنَّ الرسل قد أبلغوا رسالاتِ ربِّهم سليمةً من تخليطه واستراقِ أصحابه.

وقال ابن قتيبة: أي: ليعلم الجِنُّ أنَّ الرسل قد بلَّغوا ما نزل عليهم ولم يكونوا هم المبلِّغين باستراق السمع عليهم[٤].

وقال مجاهد: ليعلم من كذَّب الرسل أنَّ المرسلين قد بلَّغوا رسالاتِ ربِّهم[٥].

وقراءة الجماعة: «لِيَعْلَمَ» بفتح الياء، وتأويله ما ذكرناه. وقرأ ابن عباس ومجاهد

---

(١) في الصحاح (رصد): المراقب.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٤-٣٥٥ عن قتادة.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٢٣ ، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٥-٣٥٦ بنحوه.

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٢٣ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٥ .

وحُميد ويعقوب بضمِّ الياء[١]، أي: ليُعْلَم الناس أنَّ الرسل قد أبلغوا.

وقال الزجَّاج[٢]: أي: ليَعلم اللهُ أنَّ رسله قد أبلغوا رسالاته، بفتح الياء؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [التوبة: ١٦]. المعنى: ليعلم اللهُ ذلك علمَ مشاهدةٍ كما علمه غيباً.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: أحاط علمُه بما عندهم، أي: بما عند الرسل وما عند الملائكة. وقال ابن جبير: المعنى: ليعلم الرسل أنَّ ربَّهم قد أحاط علمُه بما لديهم، فيبلِّغوا رسالاتِه[٣].

﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا﴾ أي: أحاط بعدد كلِّ شيءٍ، وعرفَه وعلمَه، فلم يخفَ عليه منه شيء. و«عَدَداً» نصب على الحال، أي: أحصى كلَّ شيءٍ في حال العدد، وإن شئتَ على المصدر، أي: أحصى[٤] وعدَّ كلَّ شيءٍ عدداً، فيكون مصدرَ الفعل المحذوف، فهو سبحانه المحصي المحيط؛ العالم الحافظ لكل شيء وقد بيَّنَّا جميعَه في «الكتاب الأسنى، في شرح أسماء الله الحسنى»[٥]. والحمد لله وحدَه.

---

(١) قراءة يعقوب من رواية رويس عنه. النشر ٢/ ٣٩٢. وذكرها عن ابن عباس ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٥.

(٢) في معاني القرآن ٥/ ٢٣٨.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٦.

(٤) بعدها في (ظ): كل شيء.

(٥) ص٢٥٥، ٢٦٧.